

الكولاج الرقمي في رواية ظلال العاشق لمحمد سناجلة

Shadows of the Lover by Mohammed Digital Collage in The Novel Sanajleh

الدكتور / معرف رضا

redha.marref@univ-biskra.dz

تاريخ الإيداع: 2020/10/10 تاريخ القبول: 2021/01/12 تاريخ القبول: 2021/03/15

ملخص:

تغيرت الكتابة الإبداعية من نمطها الورقي الكلاسيكي، إلى كتابة رقمية تعتمد آليات حاسوبية وبرمجية بوسائطها المتعددة، ليتحول النص الأدبي إلى فضاء من الكلمات والصور المترابطة إلكترونياً عبر مسارات متشعبة، والكاتب محمد سناجلة من رواد المدرسة الواقعية الرقمية في الأدب، استطاع أن يشق طريقاً لها عبر مجموعة من الأعمال الأدبية الرقمية منها رواية ظلال العاشق التي يحكي فيها تاريخ الإنسان ووجوده ودمويته، من خلال نص تفاعلي يعتمد تقنية الكولاج الرقمي؛ بإدراج أصوات، وصور متحركة، وألعاب إلكترونية، ومقاطع سينمائية، وأغاني ...، بما يشي بمغامرة جديدة في الإبداع والتلقي والتواصل.

كلمات مفتاحية: أدب رقمي، رواية، كولاج، ترابط نصي.

Abstract :

Creative writing has changed from its classical paper style, to digital writing based on computer and multimedia software mechanisms, to transform the literary text into a space of words and images electronically interlinked through multiple paths, and writer Mohammed Sanajleh, one of the pioneers of the digital reality school of literature, has been able to make his way through a range of digital literary works, including the novel *Shadows of the Lover*, in which he tells the history, existence and blood of man, through interactive text that adopts digital collage technology; which suggests a new adventure in creativity, receiving and communication.

Keywords: Digital literature, novel, collage, hypertextuality

مقدمة:

العالم الإبداعي في تطور مستمر منذ أن اكتشفت الكتابة قبل ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة في حضارة سومر التي استعملت اللوح الطيني، والخط المسماري، ليستخدم المصريون فيما بعد لفاقة البردي والخط الهيروغليفي، كل هذا كان مهادا لظهور المبدعين والمثقفين، إذ يعتبر آشور بانبيال آخر ملوك الآشوريين أول مثقف عرفه التاريخ في القرن السابع قبل الميلاد، وجهود أولئك كانت سببا في ظهور المكتبات، وكذا الدفتر (الكودكس Codex) في القرن الثاني قبل الميلاد كحاجة ماسة إلى حامل عملي لنشر النص الديني الجديد، فشاعت الكتب الدينية للإنجيل والقرآن والنصوص المقدسة المختلفة.

فاكتشاف الكتابة وسع نطاق النصوص المحفوظة، في إطار منطلق الجمع والتدوين، وبفضل ذلك أتيج للكثيرين أن يصلوا إلى الميراث الثقافي بعد أن كان بلوغه مقصورا على دائرة الحفظ والرواة من قبل¹.

ومن بين الإبداعات الإنسانية التي أسهمت الكتابة في ظهورها نجد الرواية باعتبارها حامل ثقافي لمعارف الشعوب والأمم وعاكس لفكر ومنطق الإنسان، والرواية مثلها مثل باقي مناحي الحياة تقف على التطور وتتفاعل مع التغيير.

يقول الناقد موريس بلانشو Mourice blanchot: إن الشكل الروائي "ربما لا يعيش إلا على تغيراته وانحرفاته"² موافقا بذلك ما قاله تودوروف Todorov عن أنه " يكاد يكون من اللازم حدوث خرق Trangression جزئي للجنس، وإلا فسيفقد الأثر الأدبي الحد الأدنى من أصالته الضرورية"³.

ضرورة التغيير التي تفرضها الحياة جعلت الرواية تستجيب وتواكب المستجدات والتطورات التي تشهدها الساحة الثقافية والميادين الإبداعية، ولعل الثورة السيبرنتية Cybernétiques التي هي رابع الثورات التي شهدها العالم – بعد الثورة اللسانية لدوسوسير Ferdinand de Saussure، والنفسية لسيفغوند فرويد Sigmund Freud، والصناعية في أوروبا- كانت من أكبر المؤثرين على مناحي الإبداع عموما والأدب خصوصا، مما أدى إلى التزاوج بين " الأدب والإعلاميات وولوج الحاسوب عالم الإبداع الأدبي ليفارق النص texte حدوده

القديمة ليغدو نصا علائقيا بواسطة الإنترنت، نصا يمكن قراءته رأسيا وأفقيا، كما يمكن التحرك بينه بحرية تامة على شاشة الكمبيوتر في أي اتجاه، وذلك إلى الدرجة التي تتيح للقارئ إعادة إنشاء النص بحسب رغبته أو الوصل بين أجزائه بطرائق لا نهائية وكيفيات لا حدود لها⁴.

من هذا المنطلق وبما أن الأدب هو فن الرسم بالكلمات تم "توقيع وثيقة تحالف بينه وبين التكنولوجيا، فكان نتاج ذلك ذاك الجنس الأدبي الجديد الذي يطلق عليه الأدب الرقمي *Littérature numérique* ... أدب منفتح على فنون الأنيميشن والجغرافيكس، والصور المتحركة، والصوت والموسيقى، والإخراج السينمائي، والبرمجة⁵..

حمل هذا النوع من الأدب في المدونات النقدية العربية المعاصرة مسميات متعددة منها: الأدب الجديد⁶، الأدب التفاعلي⁷، الأدب المترابط⁸، الأدب السيبرنطقي⁹، وغيرها من المصطلحات التي شاعت في هذا الميدان من الدرس النقدي.

رافق النص الأدبي الجديد "تحديات العولمة فارتقى إلى مصاف البرمجة النصية، متبوءا صدارة الإبداعات التكنو-نصية، ومرتحلا من عوالمه الورقية، إلى معالم الرقمية"¹⁰، حتى أن هناك من عده "موت ثقافة الطباعة"¹¹.

إن الإمكانيات الكبيرة التي توفرها المعلوماتية أثرت على الإبداع بما جعل كلام الشبكة بمثابة "وسيط جديد يجمع بين الخصائص المنطوقة والمكتوبة والإلكترونية"¹²، كما يمكن اعتبار أصحاب تلك الإبداعات "فنانون رقميون.. يستغلون الخصائص الرسومية للوسيط في إنتاج أعمال قائمة على الصور"¹³.

إن كان ميشيل جويس Michael Joyce أول من كتب رواية رقمية في الغرب في منتصف الثمانينات المسماة "الظهيرة"، فإن أول رواية إلكترونية عربية كانت في 2001 للأردني محمد سناجلة عنوانها "ظلال الواحد"¹⁴.

يعتبر محمد سناجلة "المؤسس الأول لرواية الواقعية الرقمية، وأول من أطلق هذا المصطلح عالميا، موضحا مشروعه ومراميه في كتابه الإلكتروني المعنون ب: رواية الواقعية الرقمية"¹⁵، حيث ذهبت هذه الرواية على يديه "مذهبا عالميا، فحققت التجسيدات التقنية

للروابط الحاسوبية، ووظفت أغلب الآليات التكنولوجية والبرامج المعلوماتية المعاصرة، كما عبرت عن التآرجح البشري بين عالمين اثنين (الواقعي والافتراضي) وأحاديث الخيال المحقق وغير المحقق¹⁶.

إن الفنان الرقمي والمبدع الإلكتروني محمد سناجلة يقدم "نمطا روائيا جديدا، لا على مستوى البنية السردية فقط، أو الشكل، بل على مستوى المتن السردي، أو المضمون أيضا، إنه يقدم أدبا يحاول التعبير عن المجتمع الرقمي وبطله (الإنسان الافتراضي)، ويحاول تتبع لحظات تحوله من كينونته الأولى، بوصفه إنسانا واقعيًا، يعيش في مجتمع واقعي محدد المعالم، إلى كينونته الجديدة، بوصفه إنسانا افتراضيا، يعيش في الواقع الافتراضي"¹⁷.

والرواية التي يكتبها ويسمها بالواقعية الرقمية هي تلك الرواية التي "تستخدم الأشكال الجديدة التي أنتجها العصر الرقمي، وتدخلها ضمن البنية السردية نفسها، لتعبر عن العصر الرقمي والمجتمع الذي أنتجه هذا العصر، وإنسان هذا العصر (الإنسان الافتراضي) الذي يعيش ضمن المجتمع الافتراضي.. وهي أيضا تلك الرواية التي تعبر عن التحولات التي ترافق الإنسان بانتقاله من الواقعية إلى الافتراضية"¹⁸.

1. بين الرواية التفاعلية والواقعية الرقمية:

إن حقل المعلوماتية - وما ناظرها من رقميات وإلكترونيات - ينضوي على عدد هائل من المصطلحات التقنية التي تميز هذا المجال الجديد، وباقتارانه بالجانب الإبداعي الروائي تمخض عنه أيضا تنوع في الاستخدام المصطلحاتي، إذ تصادف التفاعل، والتفاعلية، والترابط، والتشعب، والرقمية... وغيرها من المصطلحات الجاري تداولها في إطار الأدب الرقمي عموما والرواية الرقمية على الأخص. فماذا نقصد بالتفاعل والتفاعلية؟.

التفاعل هو "العمليات التي يقوم بها المستعمل وهو ينتقل بين الروابط لتشكيل النص بالطريقة التي تفيده"¹⁹، والتفاعلية هي "قدرة البرامج على إثارة النشاط الجسدي والذهني للقارئ والاستجابة لطلباته وحاجاته، ولأجل ذلك يضطر القارئ للاستعانة بجملة من الرموز والدلائل للتفاعل إيجابا مع المعطيات الرقمية وتحقيق أهدافه المرجوة"²⁰.

يلعب القارئ أو المتلقي دورا فعالا في تحقيق التفاعل مع النص الإلكتروني وهذا ما ينقله من صعيد الرقمية إلى تجسيد التفاعلية، ومنه يصبح النص التفاعلي هو "النص المقدم الكترونيا بالاتصال بالشبكة أو دون الاتصال بها، بالإضافة إلى الاستعانة بالصوت والصورة والوسائط المتعددة، ويشترط فيه الحضور التام للقارئ الفعال والمتفاعل"²¹.

إن وجود نص رقمي يقتضي بالضرورة وجود مبدع رقمي وكذا متلق رقمي، والتفاعل حسب ما أسلفنا يتحقق ضمن عملية التواصل التي تتم بين الإنسان (مبدع/متلقي)، وبين الآلة ضمن ما يطلق عليه أدب الشبكة Net literature

هذا التواصل في جميع الحالات لا يخرج عن الأنماط الثلاثة التالية:

- تواصل بين الإنسان والإنسان Human-Human
- تواصل بين الإنسان والآلة Human-Machin
- تواصل عن طريق سلسلة من التواصل بين الإنسان والآلة Human machin of chain

والنمط الأخير يعني تواصل لا نهائي بين القارئ والكاتب والآلة²².

وعليه يكون الأدب التفاعلي من قبيل التجريب، "تجريب مغامرة جديدة في الإبداع والتلقي، أي في التواصل.. رؤية وممارسة جديدة للثقافة وللفكر وللإنسان"²³.

إن الرواية التفاعلية هي جنس أدبي تولّد في رحم التكنولوجيا المعاصرة، وتغذى بأفكارها ورؤاها محققا مقولة "إن الأدب مرآة عصره"²⁴، وإن كانت هذه تسميتها في النقد العربي فإن المقابل لها في المصطلح الأجنبي²⁵ الفرنسي Hyperfiction، والإنجليزي Interactive Novel، والمميز للرواية التفاعلية هو أنها تعتمد على "كسر النمط الخطي الذي كان سائدا في الرواية التقليدية"²⁶.

تتشارك الرواية التفاعلية مع الواقعية الرقمية التي يكتبها الأردني محمد سناجلة في استعمال كليهما لتقنية النص المتفرع (المتشعب أو المترابط) وكذا المؤثرات السمعية البصرية المختلفة التي توفرها التكنولوجيا، أما الاختلاف فيكمن في جانب المضمون أو الموضوع،

فالواقعية الرقمية مضامينها محصورة في زاوية محددة، هي زاوية المجتمع الرقمي الموجود في ذاكرة الإنسان الافتراضي ويتشكل عبر شبكة الأنترنت، بينما الموضوع في الرواية التفاعلية هو أكثر رحابة وسعة من هذا المدى الضيق، فهي تنفتح على كل ما يعرض للإنسان هاجس الكتابة عنه²⁷.

إن السمة الأساسية للرواية الرقمية سواء أكانت تفاعلية أم واقعية رقمية؛ هو تقنية الترابط النصي، فما هو الرابط النصي في اللغة الرقمية؟

2. بين التعلق والترابط النصي:

عبر تنظيرات جيرار جينيت Gérard Genette حول الشعرية نصادف مصطلح التعلق النصي Hypertextuality الذي يعتبره نوعا من أنواع المتعاليات النصية Transtextualities التي تربط بين نصين ظاهر وخفي، أو هو تلك العلاقة النصية التي تنشأ بين نص لاحق Hypertexte وآخر سابق Hypotexte

والمصطلح في عمومته مكون من قسمين: النص texte والبداثة hyper، وضمن الحقل المصطلحاتي المفاهيمي العربي اقترح جابر عصفور تعديل الصيغة الصرفية من تعلق إلى تعالق لتكون أكثر مطاوعة لغويا، ليأتي فيما بعد سعيد يقطين ويقترح مصطلح الترابط النصي ليؤدي الدلالات المقترنة، ونقل مصطلح Hypertexte من مجال الإعلاميات بقصد توظيفه في تحليل النص تمييزا له عن التعلق النصي²⁸.

وعملية نقل مصطلح Hypertexte إلى العربية أفرزت تعددا مصطلحيا كبيرا منها: النص الفائق، النص المتشعب، النص المترابط، النص الشبكي، النص العنكبوتي...²⁹

وعلى الرغم من التباين المسجل بين " التعلق النصي والترابط النصي، فإننا نراهما معا يرتبطان بالتفاعل النصي بوصفه مفهوما جامعا يتسع لمختلف العلاقات بين النصوص، سواء أكانت لفظية أم غير لفظية، وسواء قدمت شفاهيا أو كتابة أو إلكترونيا"³⁰.

وهناك من يجمع بين التشعب والترابط في مصطلح مركب واحد هو الروابط التشعبية والمقصود بها " الروافد التقنية المستخدمة في إظهار صفة التفاعلية إظهارا حيويا، ويعنى المتلقي باستخدامها للكشف عن المعنى الفني التفاعلي"³¹.

والنص المترابط أو المتشعب عندما يتحد أو يوظف وسائط أخرى مثل " البيانات الصوتية الرقمية والصور المتحركة، والصور التلفزيونية (الفيديو) أو الواقع الافتراضي وشبكات الحاسب، وقواعد البيانات إلى آخر ذلك، يطلق على كل هذا تسمية الوسائط التشعبية أو الوسائط المتفاعلة Hypermedia"³².

ومن هذا المنطلق يتسع مفهوم النص المترابط ليصبح ليس فقط " التحرك بين النصوص اللفظية، ولكن أيضا الانتقال بين علامات غير لفظية، كما أن عدم اتكاء النص على التشعب أو الترابط يقصيه تلقائيا عن مفهوم النص الرقمي الجديد³³.

3. تقنية الكولاج.. والكولاج الرقمي:

يقول بيكاسو **Pablo Picasso**: الفن واحد، فأنت يمكنك أن تكتب الكلمة بالصورة، كما يمكنك أن تصور إحساسك في قصيدة بالكلمات، وهذا يعني أنه لا يمكن الفصل بين الأدب والفن، سواء كان رسما أو موسيقى، أو نحتا، أو غيرها من الفنون.

والرواية الرقمية هي نوع من أنواع الفن المعاصر يلتقي فيها السرد بالصورة عبر تقنية الكولاج Collage فما هو الكولاج؟

الكولاج في الأصل مصطلح ينتمي إلى فن الرسم ويعني إدماج مواد مختلفة من الواقع في اللوحة الفنية، أي المزج بين ما هو واقعي وما هو متخيل، ظهر هذا المصطلح أول مرة سنة 1912 حين أقدم بيكاسو Picasso، وبراك Braque على إقحام أوراق ملصقة في صلب لوحتهما³⁴.

لتنقل هذه التقنية إلى جنس الرواية واعتمدها ضمن أدواتها السردية، ففي سنة 1930 أصدر ماكس أرنست Max Ernest رواية بعنوان "حلم فتاة صغيرة تريد الدخول إلى كرم" وأطلق عليها مصطلح رواية كولاج، ولما كان عسيرا إرفاق النص السردى بمواد صلبة كالخشب، والحديد والحجر، فيصير من المستحيل إصدار النص وتوزيعه في شكل كتاب، ارتكز الكولاج في النصوص السردية على إقحام مقتطفات من نصوص أخرى متنوعة كالرسائل والمقالات الصحافية والنصوص العلمية والتاريخية واليوميات والإعلانات وعناوين الأخبار، إضافة إلى الصور والرسوم البيانية والخرائط والجداول والنوتات الموسيقية والوصفات

الطبية.. ويمكن للنص السردي كذلك أن يقحم مختارات من نصوص سردية أخرى للمؤلف نفسه أو لمؤلفين آخرين، لذلك يعد الكولاج مظهرا من مظاهر التناس في النص السردي³⁵.

ومثلما نصادف الكولاج في المجال الفني نجدُه أيضا ضمن الحقل الرقمي، فالكولاج أيضا تقنية حديثة مستوحاة من المفاهيم الحاسوبية الشائعة، وتعد من أكثر التقنيات استعمالا في عملية نقل المعلومة على جناح السرعة، وهي عبارة عن أخذ صورة طبق الأصل من مصدرها ونقلها إلى مكان آخر (Copier/Coller). ليسارع الروائيون إلى استخدامها للوصول إلى مستوى التلفزيون والسينما، كما عمد الكتاب إلى لصق عناوين وصفحات جرائد ومجلات بالنص الروائي في صورة متناغمة مع بنية النص³⁶.

إن لغة البرمجة الحديثة أفرزت النص الفني الشامل الذي " يربط بين الحركة والكلمة، كما يقوم على منظومات جمالية تأخذ شكل لوحات وتركيبات إيحائية"³⁷، وهو ما جسده محمد سناجلة في أعماله الروائية مستثمرا تقنية الكولاج، فما هي أشكال الكولاج في رواية : ظلال العاشق.

4. أشكال الكولاج الرقمي في رواية ظلال العاشق- التاريخ السري لكموش- لمحمد سناجلة:

ظلال العاشق (التاريخ السري لكموش) هي رواية واقعية رقمية كما يسمها صاحبها محمد سناجلة أصدرها سنة 2016، مبناهها مكون من أربعة فصول تحمل عناوين: عتيق الرب، كموش في زمن العماء، كموش في زمن الشجر، قصة كموش في جزئه ووحدته. تحكي عن حرب دارت في الأردن القديمة تحديدا في مدينة ديبون، ذبيان حاليا، بين دولة العبرانيين بقيادة الملك أخاب بن عمري، ودولة المؤابيين التي ملكها ميشع بن كموشيت، وكيف حاصر أخاب عاصمة المؤابيين المتواجدة جنوب الأردن لثلاثة أشهر كادوا يأكلوا فيها جثث بعضهم من شدة الجوع، ليتدخل الإله كموش وينقذهم من كربهم، ويهزم العبرانيين شرهزيمة.

الرواية تتحرك ضمن مسار زمني يمتد من سنة 750 قبل الميلاد إلى غاية سنة 2015 م يصور فيها الإنسان في وجوده وطموحه وإنسانيته ودمويته.

أما عن تعليمات الدخول إلى الرواية فنجدها في الموقع التفاعلي الرقمي للروائي محمد سناجلة أين تواجهنا خانتان، إحداهما تشير إلى تحميل نسخة مجانية، والأخرى نسخة "السي دي" CD بملاحظة تصلك إلى أي مكان في العالم.

اعتمد سناجلة تقنية الهيبيرتكتست Hypertexte وما تتيحه من خصائص "الربط بين النصوص سواء أكانت نصا كتابيا، أم صورا ثابتة أم متحركة، أم أصواتا حية أو موسيقية، أم أشكالاً جرافيكية متحركة، أم خرائط، أم رسوما توضيحية، أم جداول، أم غير ذلك، باستخدام وصلات تكون دائما باللون الأزرق، وتقود إلى ما يمكن اعتباره هوامش على متن أو إلى ما يرتبط بالموضوع نفسه، أو ما يمكن أن يقدم إضاءة أو إضافة نفهم النص بها³⁸.

هناك من يطلق على هذا النوع من النصوص الرقمية مصطلح العابر المرئي ويقصد به "الحدث المتعدد الوسائط الناتج عن تنفيذ البرنامج المتاح للقراءة"³⁹.

وسناجلة في رواية ظلال العاشق يجعل المتلقي القارئ جزءا أساسيا من عملية الإبداع، فهو يشارك فيها كمبدع تتحقق إبداعيته من خلال مساهمته في العملية نفسها، ولم يبق المتلقي مكتفيا بمتابعة النص بعينه، إنه يكتب النص بطريقته الخاصة وهو ينقر على الفأرة ويتحرك في جسد النص وفق اختياراته وإمكاناته، وبذلك يبدع نصه من خلال النص الذي يقرأ⁴⁰.

فالفصول الأربعة للرواية يمكن قراءتها كما يشاء المتلقي وله أن يبدأ بأي فصل أراد، حتى أن الروائي في موقعه التفاعلي على هامش الرواية أتاح للمتلقين مراسلة أبطال الرواية مثل الإله كموش وفاطيمة التي تظهر في الرواية كزوجة وكأم.

فالرواية الرقمية تتحقق بأكثر من بعد واحد من خلال ما تخفيه الروابط عن نظر المتلقي وقت القراءة، ولا يصل إليه إلا من خلال النقر على الروابط وتنشيطها⁴¹.

وتنشيط الروابط يكشف لنا أنواع الكولاج الرقمي في الرواية.

1.4. كولاج الألعاب الإلكترونية: strategy games:

وظف الكاتب الرقمي محمد سناجلة الألعاب الإلكترونية أو ما يسمى بالألعاب الاستراتيجية أكثر من مرة في روايته تكشف عنها الروابط التفاعلية أثناء تنشيطها بالقراءة، ففي قصة عتيق الرب مثلا هناك أربع روابط تحيل على ألعاب إلكترونية:

رابط(1): وهو عبارة عن جملة مكتوبة باللون الأزرق تقول: ومنجانيقاتهم لا تهدأ ونيرانهم لا تنقطع، ورد في سياق الحكى عن حصار ملك الإسرائيليين للمؤابيين / تنشيط هذا الرابط من القارئ ينقله مباشرة للعبة إلكترونية تظهر فيها قلعة محاصرة وأربعة منجانيقات تقذف أسوارها العالية، وهي قلعة مدينة ذبيان.

رابط(2): جملة تقول: سرت على رأس الجيش: هذا الرابط أيضا يحيل على لعبة إلكترونية تظهر فيها جحافل من جنود الطرفين العبرانيين و المؤابيين تتقاتل على أرض يتنوع غطاؤها ما بين الصفرة، والخضرة و، والصخور.

رابط (3): جملة: كأشد ما يكون القتال: يحيل على لعبة إلكترونية يظهر فيها تشابك بين جيشين أحدهما باللون الأحمر والآخر بالأزرق، منهم من يمتطي جواده، ومنهم المشاة في أرض رملية وعلى جنباتها نخيل.

رابط(4): جملة: جاء الصوت: يحيل هذا الرابط على طفل يلعب لعبة إلكترونية لتنبثق

نافذة مكتوب عليها بالإنجليزية GAME OVER

YOU ARE DEFEATED

PLAY AGAIN ?

YES-NO

اللعبة انتهت، لقد خسرت، هل تود اللعب ثانية، نعم أم لا، وهنا يعود الرأي للمتلقى فإن اختار لا عن طريق الفأرة تنتهي الرواية واللعبة، وإن اختار نعم يتم إحالته على موقع الروائي ليبدأ قراءة الرواية من جديد وبترتيب مختلف يختاره هو.

2.4. كولاج الفيلم السينمائي:

دائماً في قصة عتيق الرب من الرواية وتحديدًا في الرابط الذي يقول: ومنهم من دهسته الفيلة، يقحم الروائي عند تنشيط هذا الرابط مقطعاً من فيلم سينمائي شهير نال العديد من جوائز الأوسكار وهو " سيد الخواتم " The Lord of the Rings أين تظهر في المقطع فيلة عملاقة تخترق صفوف الجيش وترمي بفرسانه يمينا ويسارا، وأورد هذا المقطع على هامش الحكى عن معركة استعمل فيها العبرانيون فيلة ضد المؤابيين.

والفيلم يحكي قصة الصراع بين الخير والشر، أصحاب الفيلة هم الأشرار والآخريين من المقاتلين هم الأخيار ويتناسب هذا مع السياق السردى لرواية ظلال العاشق إذ يصور الكموشيين من أتباع الإله كموش وهم الأردنيون القدماء من المؤابيين على أنهم خيرون صالحون، بينما العبرانيون الذين استخدموا في حربهم الفيلة هم غزاة طغاة محتلون، وكأن الروائي هنا يشير للصراع العربي الإسرائيلي على دولة فلسطين والقدس.

3.5. كولاج فيديو الأخبار الصحافية:

أدرج الروائي تحت رابط: وأمسكت بقائدهم فأحرقته حيا: فيديو إخباري تناقلته جميع القنوات الإخبارية عن إحراق جنود داعش للطيار الأردني معاذ الكساسبة حيا بعد وضعه في قفص حديدي دون شفقة أو رحمة بمدينة الرقة السورية سنة 2015، وهذا الفيديو يتناسب وسياق السرد عندما أمسك ابن ملك المؤابيين الملك ميشع ملك العبرانيين بعد هزيمته في المعركة وأحرقه حيا، واختار الروائي هذا المشهد بالذات لأن ضحيتها أردني، والروائي عبر كامل الرواية يحاول توظيف كل ما هو أردني سواء كان تراثاً أم شعراً، أم تاريخاً، أم أرضاً، أم...

ويتكرر مثل هذا الكولاج في فيديو آخر ضمن رابط: المذبحة العظيمة. أين أقحم فيديو جثث متناثرة هنا وهناك يرتدون ألبسة عسكرية تناقلته هو الآخر القنوات الإعلامية عن المجازر التي تحدث في سوريا إبان حربها الأهلية.

4.4. كولاج كلمات الأغاني:

عند رابط: مادحا ومغنيا، أدرج سناجلة أغنية مع موسيقى الرابطة الأردنية كلماتها للشاعر الأردني الكبير الدوقراني، تظهر فيها يد ملفوفة بالكوفية الفلسطينية.

5.4. كولاج النصوص الدينية:

إلى جانب الروابط التي هي جمل إما إسمية أو فعلية مكتوبة باللون الأزرق، استخدم سناجلة إحالات رقمية تشبه إحالات الهوامش العلمية، التي توثق للنص السردى الرقمي وتعطي المصدر أو المرجع المستقى منه الحدث السردى أو الجملة السردية، ففي قصة عتيق الرب في الإحالة رقم 20 نجد نصا دينيا من أنجيل متى 5:13، والإحالة الرقمية 21 عند تنشيطها نجد الآية 81 من سورة النحل، 22 إحالة على أنجيل لوقا 3:6، 23 تحيل على أنجيل متى، 37 سورة الدخان الآية 10، 11، الإحالة الرقمية 38 سورة الحج الآيتين 1 و2، بالإضافة لكلمات بوذا يقظة البودهيساتنا في الإحالة رقم 24، خطبة البابا أروبان الثاني Urbain II أثناء الحروب الصليبية سنة 1095 م، وفي قصة كموش زمن الشجر تحت الرابط الثاني إحالة على كتاب التوراة: سفر إشعياء، الإصحاح 27.

هذه الإحالات الرقمية كلها تكشف للقارئ وأن الروائي محمد سناجلة له اهتمامات بالنصوص اللاهوتية المسيحية، وكذا الكتب المقدسة القديمة، والقرآن الكريم والتاريخ الإسلامي بفتوحاته وانتصاراته وخببائه وانكساراته.

6.5. كولاج النصوص والقصص الفرعية:

إن تقنية الكولاج يمكن أن تضطلع بوظائف " سردية في صلب الخطاب، فقد تكون النصوص الملتصقة في النص السردى قصة فرعية تحيط بالقصة الأصلية...مرافقة للسرد ومستقلة في نفس الوقت بفصول خاصة بها، أي قصة داخل القصة، تضيء القصة الأولى وتضفي على المتخيل بعدا مرجعيا وتؤطر الفردي في الجماعي، وقد تساهم النصوص الملتصقة في تنوع زوايا السرد وتكسير خطيته وتنشيطية القصة الأم إلى قصص فرعية متعددة متكاثرة"⁴².

في رواية ظلال العاشق نجد أن القصة الأم أو الرئيسية هي قصة " عتيق الرب" وتحتوي عشرة روابط، في الرابط السادس منها؛ وهو جملة: رب الأرباب كموش المتعال وهو يصارع التين لوتان ذا الرأس السبعة، بمجرد تنشيط هذا الرابط تنتقل مباشرة لقصة أخرى هي قصة " كموش زمن الشجر" فرغم أن الرواية الأصلية لم تنته بعد نجد أنفسنا ضمن فضاء سردي جديد ومختلف عن الأول، لكنه يفسره، فهذه القصة تحكي عن شباب كموش وكيف

كان يعيش في كهف مع أخته وزوجته فاطيما، وفي القصة شبه كبير بقصة سيدنا آدم، وكيف اكتشف سر الرمح الذي قتل به التنين لوتان ابن إله البراكين وإلهة الزلازل، وعند تفعيل الرابط الثالث من رواية زمن الشجر الذي هو جملة: شعرت بأني إله ذاتي تتم إعادة المتلقي أو القارئ للقصة الأم عتيق الرب، بينما الرابط الرابع من قصة كموش زمن الشجر وهو جملة: عالم من العماء، نجده يحيل إلى قصة أخرى وهي "كموش زمن العماء" وفيها نتعرف كيف ارتقى الشاب كموش قاتل التنين لوتان إلى درجة إله في عالم العماء، عالم الغيبيات والروحانيات موظفا فيه الروائي لغة عرفانية صوفية، مضمخة بالعشق الإلهي، كما يمكن التنقل بين صفحات القصص عن طريق سهم يشبه الرمح في الجانب الأيسر من ورقة القصة الرقمية.

والكولاج حسب توظيفه من الروائي سناجلة يلعب" دور المراوحة بين الأزمنة ماضيا وحاضرا ومستقبلا وهدم الحدود الفاصلة بينها، وإنشاء دلالات النص وتوجيه القراءة التأويلية، إذ تقوم النصوص الملتصقة مقام التفسير للنص التخيلي والتعليق عليه"⁴³.

ومهما يكن من أمر الكولاج هنا فإنه تعبير عن تعدد المعنى وتداخل الأنساق وحوارية السرد والصورة.

7.4. كولاج الصوت:

الصوت هو " ذلك الاشتغال الفني الموحي بالتأثير الجمالي والباعث على تأمل النص عبر حاسة السمع وحاسة البصر، بل عبر تراسل الحواس لدى المتلقي"⁴⁴، ورواية ظلال العاشق جاءت حافلة بالأصوات، ففي الغلاف الرقمي للرواية أو الجينيريك وظف سناجلة صوت لحن صادر عن حنجرة نسوية يعكس التراث الأردني والصحراء العربية، صوت تحس فيه الألم والأمل معا، كما وظف ضمن الألعاب الإلكترونية أصواتا تشبه أصوات الطبول لكنها أخف منها تتناسب وأجواء الحرب والمعارك، حتى فيديو إحراق الكساسبة رافقته أصوات تثير في القارئ مشاعر الحزن والتحسر على مصيره، وفي الفيلم السينمائي سيد الخواتم نسمع أصوات أبواق تعلن نفي الحرب، كلها منتقاة ومستقاة بعناية فائقة، تتلاءم ومجريات السرد وما يرافقه من تشعبات وترايطات، ولا نستغرب هذا من محمد سناجلة الذي قدم نفسه في جينيريك الرواية الرقمية على أنها من تأليفه وإخراجه، فهو مؤلف مبدع، ومخرج ضليع بعالم الصوت والصورة والمونتاج.

8.4. كولاج الألوان:

الألوان في الرواية متقنة بشكل كبير وتشي بدلالات وإيحاءات متعددة تساعد في فهم وتفسير النص السردى، فمثلا العنوان ورد باللون الأحمر " ظلال العاشق" تتقاطر منه الدماء، وفعلا عند قراءة الرواية نجد لها ملفوفة في رداء الموت والتقتيل والمجازر، والعاشق هو الإله كموش كما يستدل على ذلك من قصتي كموش زمن الشجر، وكموش في الزمن العماء، والمقصود هنا ليس دموية الإله، وإنما دموية الإنسان الذي يرتكب المجازر ويستبيح التقتيل بعنوان الدين والتقرب لله، بينما نجد العنوان الفرعي للرواية "التاريخ السري لكموش" مكتوب باللون الأزرق، وهو اللون الذي اختاره سناجلة لروابطه التشعبية الرقمية التي ينشطها القارئ بالنقر أو النكز، فتتكشف معها أسرار السرد ودهاليز الرواية، عبر إحالتها على عوالم خفية من الرواية، كلما أوغلنا فيها وفي تفرعاتها اكتشفنا المزيد من الأسرار وانجلت لنا الكثير من المعميات. وبما أن القصة في ظاهرها تشبه الأساطير القديمة خاصة وأنها تحكي عن حضارة مؤاب 750 سنة قبل الميلاد جعل الروائي لكلماته السردية حاملا رقميا يشبه ورقة ذات لون أصفر باهت وكأنه لوثيقة قديمة، جلدية أو ورقية أو بردية، وأنت تتصفحها تحس وأنتك تسافر عبر الزمن، وجعلها فضاء للشاشة بمثابة " المكون ذو الطابع المكاني للنص المعين أولا والمقروء ثانيا، الذي يستوعب النص التفاعلي وعناصره وروابطه كلها، وحركته فيها"⁴⁵.

إن توظيف تلك الألوان بعناية ساعد في عملية الإبحار Navigation والاختيار بسهولة بين وصلات النص المختلفة، والتنقل عبر " مسارات متعددة أو سلاسل ومسارات نصية مفتوحة وغير مفتوحة تجمعها روابط Liens أو عقد".⁴⁶

لأجل صنع عالمه الافتراضي، استفاد الروائي محمد سناجلة من تقنيات الرقمنة" لاسيما توظيف برامج الفلاش أو البرمجة المختلفة، مثل html، وغيرها من مفرزات الواقع الرقمي، وما يعرف بالرقمية Digitalization حيث بات الحضور قويا لاستغلال تقنية الارتباطات التشعبية التفاعلية fiction hyper وأسلوب الوصلات Links أو عالم الوسائط المتعددة Multi media وال Tags وكل ما من شأنه أن يخلق واقعا افتراضيا"⁴⁷.

خاتمة:

مهما يكن يجب أن نتعامل اليوم مع الرقمية على أنها حامل جديد أو تقنية جديدة لتسجيل الذاكرة، كما لا يمكن أيضا أن نضحى بجوهر الأدب في سبيل التقنية، ولا ينبغي أن نفقد المتعة الفنية والجمالية في الأدب بسبب التقنية، لأن الأدب يبقى في مختلف العصور مرتبطا أكثر بالوجدان، ويفعل في الإنسان من خلال أبعاده الإنسانية والجمالية والفنية.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1.. محمد أسليم، الرقمية والتحويلات الثقافية، مخطوط إلكتروني، 2020/06/20، 15:30
2. http://www.aslim.ma/site/articles.php?action=list&cat_id=14.2
- 3.. أحمد المسناوي، نظرية الأجناس الأدبية، مجلة عالم الفكر/ الكويت، مج 40، يناير 2012، ص 220

- 4.. عمر زرفاوي، الكتابة الزرقاء(مدخل إلى الأدب التفاعلي)، دائرة الإعلام والثقافة، الشارقة، ط 2013، ص 162.
- 5.. سومية معمري، الأدب الرقمي بين إشكالية المصطلح وخصوصيات المبدع، مجلة العلوم الإنسانية، قسنطينة، ع 46، مج أ، ديسمبر 2016، ص 541.
- 6.. سعيد يقطين، النص المترابط مستقبل الثقافة العربية (نحو كتابة عربية رقمية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2008، ص 180.
- 7.. فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 2006، ص 183.
- زهور كرام، الأدب الرقمي(أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية)، رؤية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2009، ص 22.
- 8.. صفية علي، آفاق النص الأدبي ضمن العولمة، أطروحة دكتوراه العلوم في الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2015/14.
- 9.. ابراهيم أحمد ملحم، الأدب والتقنية(مدخل إلى النقد التفاعلي)، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2013، ص 17.
10. . ديفيد كريستال، اللغة وشبكة المعلومات العالمية، ترجمة أحمد شفيق الخطيب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط 1، 2010.
11. . سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط(مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 2005.
12. . عايدة نصر الله، إيمان يونس، التفاعل الأدبي في الشعر الرقمي(قصيدة شجرة البوغاز نموذجاً)، دار الأركان للإنتاج والنشر، دب، دط.
13. . جمال قالم، النص الأدبي من الورقية إلى الرقمية(آليات التشكيل والتلقي)، أطروحة ماجستير، جامعة البويرة، 2009/08.
14. . رحمن غركان، القصيدة التفاعلية في الشعرية العربية(تنظيراً وإجراءً)، دار الينابيع للنشر والتوزيع، السويد، ط1، 2010.
15. . محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، دار العين للنشر والتوزيع، ط1، 2010.
16. . عدالة أحمد ابراهيم، الجديد في السرد العربي المعاصر، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط 1، 2006.
17. . علاء جبر محمد، طوبولوجيا العمل السردية، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط 1، 2007.
18. . عيبر سلامة، النص المتشعب ومستقبل الرواية، مخطوط الكتروني، 2019/02/23، 11.02.
19. . فيليب بوطز، ما الأدب الرقمي، ترجمة محمد اسليم، مجلة علامات، المغرب، ع 35، 2011.
20. . فطيمة فرحي، التجريب وتجاوز الوسيط الورقي في الكتابة الروائية، مذكرة ماجستير أدب حديث، جامعة باتنة، 2014/13.
21. . مجيل لازم المالكي، المكتبات الرقمية وتقنيات الوسائط المتعددة، مؤسسة الوراق للنشر، عمان، ط 1، 2005.
22. . محمد مصطفى سليم، القصة وجدل النوع، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2006.

- ¹. محمد أسليم، الرقمية والتحولت الثقافية، مخطوط إلكتروني، 2020/06/20، 15:30
http://www.aslim.ma/site/articles.php?action=list&cat_id=14
- ². أحمد المسناوي، نظرية الأجناس الأدبية، مجلة عالم الفكر/ الكويت، مج 40، يناير 2012، ص 220
- ³. المرجع نفسه، ص 220.
- ⁴. عمر زرقاوي، الكتابة الزرقاء (مدخل إلى الأدب التفاعلي)، دائرة الإعلام والثقافة، الشارقة، ط 2013، ص 162.
- ⁵. سومية معمري، الأدب الرقمي بين إشكالية المصطلح وخصوصيات المبدع، مجلة العلوم الإنسانية، قسنطينة، ع 46، مج أ، ديسمبر 2016، ص 541.
- ⁶. ينظر، سعيد يقطين، النص المترابط مستقبل الثقافة العربية (نحو كتابة عربية رقمية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 2008، ص 180.
- ⁷. ينظر، فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 2006، ص 183.
- ⁸. ينظر، زهور كرام، الأدب الرقمي (أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية)، رؤية للنشر والتوزيع، مصر، ط 1، 2009، ص 22.
- ⁹. ينظر، المرجع نفسه، ص 84.
- ¹⁰. صفية علي، آفاق النص الأدبي ضمن العولمة، أطروحة دكتوراه العلوم في الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2015/14، ص 03.
- ¹¹. إبراهيم أحمد ملحم، الأدب والتقنية (مدخل إلى النقد التفاعلي)، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2013، ص 17.
- ¹². ديفيد كريستال، اللغة وشبكة المعلومات العالمية، ترجمة أحمد شفيق الخطيب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط 1، 2010، ص 56.
- ¹³. المرجع نفسه، ص 296.
- ¹⁴. فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص 120.
- ¹⁵. صفية علي، المرجع السابق، ص 79.
- ¹⁶. المرجع نفسه، ص 100.
- ¹⁷. فاطمة البريكي، المرجع السابق، ص 124.
- ¹⁸. المرجع نفسه، ص 126.
- ¹⁹. سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط (مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 2005، ص 259.
- ²⁰. عابدة نصر الله، إيمان يونس، التفاعل الأدبي في الشعر الرقمي (قصيدة شجرة البوغاز نموذجاً)، دار الأركان للإنتاج والنشر، دب، دط، ص 07.
- ²¹. إبراهيم أحمد ملحم، الأدب والتقنية، ص 19.
- ²². ينظر، عابدة نصر الله، إيمان يونس، المرجع السابق، ص 37.
- ²³. سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، ص 12.
- ²⁴. فاطمة البريكي، المرجع السابق، ص 111.
- ²⁵. المرجع نفسه، ص 111.
- ²⁶. المرجع نفسه، ص 112.

- ²⁷. ينظر، المرجع نفسه، ص 126-127.
- ²⁸. ينظر، عمر زرفاوي، المرجع السابق، ص 162، 163.
- ²⁹. جمال قالم، النص الأدبي من الورقية إلى الرقمية (آليات التشكيل والتلقي)، أطروحة ماجستير، جامعة البويرة، 2009/08، ص 53.
- ³⁰. سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، ص 102.
- ³¹. رحمن غركان، القصيدة التفاعلية في الشعرية العربية (تنظيرا وإجراء)، دار الينابيع للنشر والتوزيع، السويد، ط1، 2010، ص 88.
- ³². عمر زرفاوي، المرجع السابق، ص 164.
- ³³. ينظر، المرجع نفسه، ص 163-164.
- ³⁴. ينظر، محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، دار العين للنشر والتوزيع، ط1، 2010، ص 358.
- ³⁵. ينظر، المرجع نفسه، ص 358.
- ³⁶. ينظر، عدالة أحمد إبراهيم، الجديد في السرد العربي المعاصر، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط 1، 2006، ص 231.
- ³⁷. علاء جبر محمد، طوبولوجيا العمل السردية، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط 1، 2007، ص 24.
- ³⁸. عبير سلامة، النص المتشعب ومستقبل الرواية، مخطوط الكتروني، 2019/02/23، 11.02.
- ³⁹. فيليب بوطز، ما الأدب الرقمي، ترجمة محمد اسليم، مجلة علامات، المغرب، ع 35، 2011، ص 107.
- ⁴⁰. سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، ص 243.
- ⁴¹. فطيمة فرحي، التجريب وتجاوز الوسيط الورقي في الكتابة الروائية، مذكرة ماجستير أدب حديث، جامعة باتنة، 2014/13، ص 38.
- ⁴². محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، ص 359.
- ⁴³. المرجع نفسه، ص 360.
- ⁴⁴. رحمن غركان، المرجع السابق، ص 80.
- ⁴⁵. المرجع نفسه، ص 91.
- ⁴⁶. مجبل لازم المالكي، المكتبات الرقمية وتقنيات الوسائط المتعددة، مؤسسة الوراق للنشر، عمان، ط 1، 2005، ص 178.
- ⁴⁷. محمد مصطفى سليم، القصة وجدل النوع، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2006، ص 15.